

بشار والمرأة

[١]

العين هي الأداة الأولى والكبرى للإحساس بالجمال، والالفتات إليه والإحاطة بمعانيه. وليس يستوى أن يكون للمرء، وأن لا يكون له، عينان. ولهذا الجارحة عمل يمتنع إذا تعطلت. ولا مفر من أن يحدث كف البصر أثرًا في مزاج الإنسان وتفكيره وإحساسه. فما يبقى للمكفوف من وسائط الإحساس بالجمال وإدراك معانيه سوء السمع واللمس والشم، وهي أقل من العين غناء إذ كانت العين أوثق اتصالاً بالعقل حتى لترى أكثر المجازات في هذا الباب مستمدة من عملها وإحساسها. والعقل حتى لترى أكثر المجازات في هذا الباب مستمدة من عملها وإحساسها. والعقل عنها أفهم، وبها أقوى وأقدر. وإذا شابه ما يقول الكفيف في الجمال وما يصف به شعوره، كلام البصير ووصفه، فإن هذا لا يكون على الأرجح، إلا تقليدًا، وعلى السماع، وبمقدار ما أشربت نفسه من روح اللغة وأساليب التعبير فيها. ولا نكران أن الجمال معنى كما هو منظر، وعسى أن يكون معنى أكثر مما هو منظر. وغير مردود أن للخيال في تصور هذا المعنى وإدراكه، عملاً كبيراً، ولكن الخيال إنما يخلق بجناحين من الحقيقة لا من الوهم. والنظر حاسة "اجتماعية" ليس أعون منها على التصور والإحساس، ومضاعفة الشعور وتقويته. ولا معدى عن وجود فرق ما، بين ما يفهمه كفيف من معنى الجمال، وما يفهمه بصير لا تنقصه هذه الجارحة التي لا يمكن أن تعد زيادة لا لزوم لها ولا مزية بها.

وقد كان بشار يدرك هذا ولا يكابر فيه. فقد كان لا ينفك يذكر في

شعره وكلامه أنه ضرير ويقول إنه عمّة جنينًا، ويفسر للناس كيف يحب من لا يرى فيقول:

يا قوم "أذنى" لبعض الحى عاشقة

والأذن تعشق قبل العين "أحيانًا"

قالوا بمن لا ترى "تهذى" فقلت لهم

الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وقد أحسن الاحتياط ووفق في التعبير، فقال إن أذنه هي العاشقة، وأن هذا ليس ببدع فقد تسبق الأذن العين "أحيانًا" فتكون هي المجاز إلى القلب. وتأمل قوله إن الناس نسبوه إلى "الهديان" بمن لا يرى. وما أرى أصلح أو أدق من هذا اللفظ ولا أحق منه بموضعه، فما هو إلا ضرب من الهديان مهما أولته، وإلا لفظ بما ليس مدركا على وجه صحيح، أو على الوجه الذى يفهمه البصراء.

وكرر هذا الرد والاحتجاج فقال:

وكاعب قالت لأترايها يا قوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الإنسان من لا يرى؟ فقلت والدمع بعيني غزير
إن تك عيني لا ترى وجهها فإنها قد صورت فى الضمير

وقوله "والدمع بعيني غزير" يشى بالحسرة على ما يفوته، والإحساس الوجيع بما ينقصه إنها صورت فى الضمير، لا يفيد شيئًا، إذ كيف صورت؟ وهل تكون الصورة الحاصلة - إذا كانت ثم صورة - إلا ملثثة ما دامت بغير

ألوان وسمات؟ وهل يمكن أن يتجاوز الأمر فيها الإحساس العام ما دام ليس عنده ما يقيس عليه أو يؤلف منه الصورة؟

وقال:

أن سليمي، والله يكلؤها كالسكر تزاداه على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبني والسمع يكفيك غيبة البصر
فهو يشبه إحساسه بها بإحساسه بالسكر، أى بالنشوة الحاصلة، ويقول
إنه بلغ عنها شكلا فأعجبه الوصف المألوف للمحاسن والمفاتن وما يلهج به
الناس من صور الجمال، أما أن السمع يكفى غيبة البصر فحسب، فما ثم
حيلة يعرفها المضطر إلا الاكتفاء والذي لا يستطيع أن يدرك إلا اجمالا، لا
على وجه الدقة، ما حرمة بغية البصر وذهابه.

وقال:

عجبت فطمة من نعتي لها أيجيد النعت مكفوف البصر؟
ووجه العجب هو من وصف ما لا يرى، وإنه لعجيب فى ظاهره،
ولكنه لا موجب للعجب إذا تذكرنا أنه يجرى فيه على المألوف الشائع فى
أوصاف الجمال.

وقال:

يزهدنى فى حب عبدة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارضى فبالقلب لا بالعين ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وصحيح أن الحب يكون بالقلب، وأن الصور تحصل فى الذهن، وغير منكور أن فتنة الحب تزيغ البصر، وقد صدق من قال إن:

عين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

ولكن هذا لا يخلو من مغالطة فما قال أحد إن المرء يحب بعينه، وإنما الذى قيل ويقال هو أن العين هى الباب الواسع إلى القلب، والعدسة التى تنقل صور الجمال فى مظاهره المختلفة أو كما قال البحرى:

وما كان حظ فى ذلك مذهبى ولكن رأيت العين باباً إلى القلب

وقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسن وأنا لا نراك فالمسينا

وقد قال هذا البيت فى مجلس كان يرجو أن يفوز به بحظ جزيل من اللهو، فاللمس بسبيل مما كان يطمع فيه ويحلم به. ولكنه جل أيضا على أنه يعتمد - فيما يعتمد عليه - على اللمس ليشعر بالجمال، ولا تنس قوله إن الجارية وصفت له بحسن فهو يريد أن يلمس ويجس ويتحسس ليطابق. والجمال منظر ومعان وتعبير. والعين أقدر من السمع واللمس على إفادة الاستمتاع به لأنها هى التى تعين على تأليف الصور الذهنية. وهى صور تتألف من أشتات أخرى علقت بالذاكرة وحصلت بالنظر.

وإليك قصيدة ابن الرومى فى وحيد المغنية نسوقها لأننا لا نعرف قصيدة أخرى فى لغة العرب - وقد كدنا أو فى سواها - أجمع منها المعانى الحب والجمال. قال:

غادة زانها من الغصن قد
وزهاها من فرعها ومن الخد
فهى برد بخدها، وسلام،
ما لما تصطليه من وجتئها
وغير بحسنها قال صفها
يسهل القول إنها أحسن الأشياء
تجلى للناظرين إليها
ظبية تسكن القلوب وترعاها
تغنى، كأها لا تغنى،
لا تراها هناك تجحظ عين
من هدو، وليس فيه انقطاع،
مد فى شأو صوتها نفس كاف
وأرق الدلال والغنج منه
فتراه يموت طوراً ويحيا
فيه وشى، وفيه حلى من النغم
طاب فوها وما ترجع فيه
وحسان عرضن لى، قلت مهلا
حسنها فى العيون حسن جديد

ومن الظبي مقلتان وجيد
ين ذاك السواد والتوريد
وهى للعاشقين جهد جهيد
غير ترشاف ريقها تبريد
قلت: أمران: بين، وشديد
اء طرا، ويصعب التحديد
فشقى بحسنها وسعيد
وقمرية لها تغريد
من سكون الأوصال، وهى تجيد
لك منها، ولا بدر وريد
وسجسو، وما به تبيد
كأنفاس عاشقها مديد
وبراه الشجى فكاد يبيد
مستلذ بسيطه والتشيد
مصوغ، يختل فيه القصيد
كل شىء لها بذاك شهيد
عن وحيد، فحقها التوحيد
فلها فى القلوب حب جديد

ضلة للفؤاد يحنو عليها
 سحرته بمقلتيها فأضحت
 خلقت فتنة، غناء وحسنًا
 فهي نعمى يسميد منها كبير
 لى حيث انصرفت منها رفيق
 عن يمينى وعن شمالى وقد
 سد شيطان حبها كل فج
 ليت شعرى إذا أدام إليها
 أهى شىء لا تسأم العين منه؟
 بل هى العيش لا يزال متى استعرض
 منظر، مسمع، معان من الله-
 وهى تزهو، حياته، وتكيد
 عنده، والذميم منها حميد
 ما لها فهما جميعًا نديد
 وهى بلوى يشيب منها وليد
 من هواها، وحيث حلت قعيد
 وخلفى، فأين عنه أحييد؟
 إن شيطان حبها لمريد
 كره الطرف، مبدى ومعيد
 أم لها كل ساعة تجديد؟
 يملى غرائبًا ويفييد
 هو، عناد لما يحب عتيد

ويستطيع أكمه كبشار لم ير الدنيا إلا سماعًا، أن يذكر معظم ما فى
 هذه القصيدة الفريدة، وأن يشبه قدها بالغصن، ومقلتها وجيدها بمقلة الطبى
 وجيده، وأن يذكر سواد شعرها غناءها بسجع القمارى ويصف صوتها وقوته
 وحلاوته، وهدهوه وسجوه، ورقته، وطول نفسها، ولا ينسى الوشى والحلى
 المصوغ أيضًا - كل هذا فى وسعه. ولكنه لا يستطيع أن يصف حسننها فى
 العين وتجدده على النظر، وكيف يتجدد ولا يسأم، ولا أن يتصور كل هذا
 "العناد" مجتمعًا. بل لا يستطيع أن يفطن إلى جمالها وهى تغنى، وأوصالها
 ساكنة، فلا عين تجحظ، ولا وريد يدر، فإن هذا لا سبيل إليه إلا بالنظر

والمقارنة، وهو يفهم تشبيه حسنها الذى لا يزال يتجدد فى رأى العين وإحساس القلب، بالعيش الذى لا يزال يعرض الغرائب، ولكنه يصعب أن يخطر له هذا المعنى من تلقاء نفسه، لأنه لا يستطيع أن يفطن إلى تجديد الجمال دون أن ينده إلى ذلك منه .

وليس فى شعر بشار ما يدل على أنه استطاع أن يتجاوز نطاق السمع واللمس والشم فى غزله، فهو يقول مثلاً:

وكأن رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وأولى به أن يكون تشبيها لأنفاسها وطيبها، وإن كان مقبولا بمعنى أن نسيم الرياض ينعش الجسم ويحيى النفس، فما لمثل بشار قدرة على إفادة المتعة بالرياض إلا بأرجها، وهى بغير ذلك سوء والصحراء .
ويشبه ذلك قوله:

وحديث كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء

وقوله:

"كأن حديثها ثمر الجنان"

وقوله:

"ولهم مبسم كئفر الأفاحي"

وقوله:

"وبكر كنوار الرياض حديثها تروق بوجه واضح كلام"

وقد تعلق بشار بكل ما تفيده حواسه الباقية له، وبالغ فى إبراز المعانى التى تدور على الحس، كقوله:

ولقد تعرض لى خيالكم فى القرط والخلخال والقلب

وقوله:

وخذى ملابس زينة ومصبغات فهو أفخر
وإذا دخلت تقنعى بالحممر، أن الحسن أحمر

ويقول الجاحظ بعد أن أورد بيت ذى الرمة:

حوراء فى دعج، صفراء فى نعج كأنها فضة قد مسها ذهب
"إن المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب إلى الحمرة،
وبالعشى يضرب إلى الصفرة ولذلك قال الأعشى:

بيضاء ضحوتها، وصفراء العشية، كالعرارة

وقال بشار:

فإذا دخلت تقنعى بالحسن إن الحسن أحمر

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق الأمور إلا مالا يبلغه تمييز البصراء.
ولبشار - خاصة - فى هذا الباب ما ليس لأحد"

على أن للأعشى وبشار ثالثا بذهما وأغنى به المعرى، وهو القائل:

رب ليل كأنه الصبح فى الحسد من وإن كان أسود الطيلسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو حتى وقف النجم وقفة الحيران
فكأنى ما قلت، والبدر طفل وشباب الظلماء فى عنفوان
ليلتى هذه عروس من الزم-حج عليها فلا بد من جمان

وكان الهلال يهوى الثريا
وسهيل كوجنة الحب فى اللو
يسرع اللحم فى إمرار، كما تس
ثم شاب الدجى فخاف من الهجر
ومن قول بشار أيضا:

وتخال ما جمعت عليه
ثيابها ذهبيا وعطرا
باكرن عطر لطيفة
وغمسن فى الجادى غمسا

عبيدة مالك مسلوبة
وكنت معطرة حالية
كأنها صورت من ماء لؤلؤة
فكل جارحة وجه بمرصاد

فشربت غير مباشر حرجا
برضاب أشنب بارد عذب
ولاحظ الأستاذ العقاد أن بشار "ينقل الوصف أحيانا مما يرى إلى ما
يحس. فيصف الهوى والجمال كأنهما شىء (مصبوب) على القلب والجسم
كقوله:

إذا نظرت "صبت" عليك صباية وكادت قلوب العاشقين تطير

وقوله:

"صببت هوائك على قلبه فضاف وأعلن ما قد كنتم

وقوله:

من فتاة "صب" الجمال عليها في حديث كلذة النشوان".

وهي ملاحظة سديدة

ومن قوله أيضا

وغادة سوداء براقية كالماء في طيب وفي لبن

كأنها صيغت لمن نالها من عنبر بالمسك معجون

والأمر فيما يتعلق بيبشار على حد قول سوسنه الموسوس بعد أن كف
بصره، وكان يوصف بأنه من عقلاء المجانين .

حمى العمى حظ عيني فاجعل لقلبي حظا
فقد جعلت بناني عينا، وقصرى لحظا
فأذن خدك منى ولا تكن بى فظا

ولو وضعنا "لحسى" فى موضع "لقلبي" من البيت الأول لكان
أصدق. فما كانت المرأة عند بشار إلا أنثى يصبو جسد الرجل إلى جسدها،
وأداة يرضى بها غريزته. وندر أن يرتقى إحساسه بها إلى المعانى النفسية،
وكان لا يفرغ من التشبيب بالنساء، أو على الأصح إلى المعانى النفسية، وكان
لا يفرغ من التشبيب بالنساء، أو على الأصح من وصف ما يشواق إليه منهن،
ويطلبه عندهن من اللذات، إلا ليذكر فحولته وتنزيهه، فمن ذلك ما حكوه من
أنه علق امرأة وراسلها يسألها أن تواصله فقالت لرسوله "أى حظ لى فىك أو
لك فى وأنت أعمى لا ترانى فتعرف حسنى ومقداره، وأنت قبيح الوجه
فلاحظ لى فىك، فليت شعرى لأى شىء تطلب وصال مثلى؟" وهى فظاظة
ولاشك، ومظهر غرور بفتنة الجسد وقلة فطنة إلى ما وراءه، وقد ورد عليها
بشار نمسك عن إيراده وإن كان لاثقاً بقله أديها. وحسبنا أن نقول إنه أهمل
فى رده كل ما يمكن أن يتفاضل به الرجال، ولم ينظر إلا إلى الجانب
الحيوانى الصريح الذى يتساوى عنده الناس والبهائم. وأخلق بالبهائم أن
ترجع على الإنسان من هذه الناحية.

ولا يخرج بشار عن دائرة الحواس حين يتخيل حبيبته - إذا صح أنه كانت له حبيبة معينة - ومن ذلك قوله الذى من قبل " ولقد تعرض لى خيالكم " - والمرأة عنده أنثى تشتهى وتنال ولا تستعصى على الطالب .

قاس الهموم تنل بها نجحا والليل، إن وراءه صبوحا
لا يوئسناك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمحا
وهو القائل أيضا:

لا أبالى من ضمن عنى بوصل إن قضى الله منه لى يوم جود

وكان يعمل بما يعلم . وحكايته مع أمامة مشهورة، وكان يبعث إليها بغلامه يراودها فتمتنع . فلما أضجرها بالخاصة عرفت زوجها فقال لها أجيبيه وعديه أن يجئ إلى هنا . ففعلت . وجاء بشار مع امرأة نفذتها إمامه إليه . فدخل وزوجها جالس وهو - أى بشار - لا يعلم ، فجعل بشار يحادثها ثم قال : " إمامة قد وصفت لنا بحسن وإنا لا نراك فالمسينا "

فأخذت يده فدفعته إلى زوجها ففزع بشار ووثب وقال :

على ألية ما دمت حيا أمسك طائعا إلا بعود
ولا أهدي أنت فيهم سلام الله إلا من بعيد

حتى على لسان حمار له زعم أنه مات لا يتناول إلا هذه المعانى الدائرة على الحسن ، وإن كان هذا معقولا من حمار

سنيدي خذبى أتانا عند باب الأصبهاني

تيممتنى بينان وبدل قد شجاني
تيممتنى يوم رحنا بثناياها الحسان
وبفنج وادلال سل جسمى ويرانى
ولها خذ أسيل مثل خد الشيفرانى
فلذامت. ولو عشت ست إذا طال هوانى

وله رأى فى شعر النساء يوافق تصويره لهن قال: " ما من شعر تقوله امرأة إلا وفيه سمة الخنوثة " وهذا ما ينبغى أن يكون والا فما هى بامرأة. ولبشار حكاية ليس أتم منها على انحصار الإحساس بالمرأة فى الرغبة الجنسية وانتفاء الاهتمام - أو ضعفه - بما وراء ذلك، والعجز عن إدراكه. ولكننا لا نستطيع أن نسوقها لشاعتها - فليبحث عنها من شاء فى أخباره المبعثرة.

ومن قوله أيضا:

ودعجاء المحاجر من معد كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامن لمشيتها تشنت كأن عظامها من خيزران

فحديثها يشبه ما يؤكل من ثمر الخلد، وعظامها لينة لمن يجسها ويلمسها فهى تشنى كالخيزران.

ومنه

حسوراء إن نظرت إليـ لك سقتك بالعينين خمرا
وكان رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وكان تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهباً وعطرا
وكأنها برد الشراب صفاً ووافق منه فطرا
يا ليتنى كنت تفاحاً مفلجة أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحى فأعجبها ونحن فى خلوة، مثلت انسانا

ومنه فى جارية مغنية اسمها فاطمة، يقول على لسانها:

أمستى بدد هذا لعبى ووشاحى حله حتى انتشر
فدعيني معه يا أمتى علنا فى خلوة نقضى الوطر
ثم يقول:

بأبى والله ما أحسنه دمع عين غسل الكحل فثر
أيها النوام هبوا ويحكم وسلونى اليوم ما طعم السهر
ومنه:

تناول خوداً هضيم الحشى من الحور مخطوطة عالية
ومن قوله من قصيدة مشهورة:
حسبى وحسب الذى كلفت به منى ومنه الحديث والنظر
أو قبله فى خلال ذاك، وما بأس إذا لم تحمل لى الأزر
أو عضة فى ذراعها، ولها فوق ذراعى من عضها أثر
أو لمسة دون مرطها بيدي والباب قد حال دونه الستر
والساق بارقة مخلخلها أو مص ريق وقد علا البهر

واسترخت الكف للعراك وقا
انهض فما أنت كالذى زعموا
قد غابت اليوم عنك حاضتى
يارب خذ لى، فقد ترى ضرعى
أهوى إلى معضدى فرضضه
ألصق بى لحية له خشنت
حتى علانى وأسرتى غيب
أقسم بالله لا نجوت بها
كيف بأمى إذا رأت شفتى
قد كنت أخشى الذى ابتليت به
قلت لها عند ذاك ياسكنى
قولى لها: بقة لها ظفر

لت ايه عنى، والدمع منحدر
أنت وربى مغسازل أشر
والله لى منك، فيك، يتصر
من فاسق جاء ما به سكر
ذوقوه، ما يطاق، مقتدر
ذات سواد كى،ها الأبر
ويلى عليهم لو أنهم حضروا!
فاذهب فأنت المساور الظفر
أم كيف إن شاع منك الخبر
منك، فماذا أقول يا عبر
لا بأس، إنى مجرب خبر
إن كان فى البق مأله ظفر

وهى قصيدة تمثل نزعة أصدق تمثيل وأدقه. والمرء يقرؤها فيخيل إليه أن هذا بيت من بيوت الدعارة السرية. والصورة كلها صورة فتاة " بنت عشرين بكر" - فقد كان بشار يجبهن صغيرات كلها صورة فتاة " بنت عشرين بكر" - فقد كان بشار يجبهن صغيرات - بضة لينة من حوريات الأمصار المستراد لأمثالهن يغازلها ويلاعبها ويقارصها ويهم بها رجل قوى متين الأسر خشن الشعر وهى ذليلة مطواع بين يديه، نقر له، وتعترف بقوته ويلذ لها - وإن كانت عينها تذى الدمع - أن تلهج باقتداره عليها، ومساورته لها، وظفر

بها، ولا يحيرها إلا عضة لا تدرى كيف تخفى أثرها عن أهلها حين يعودون.

وليس بشار بدعا بين العميان، فقد كان أبو العلاء وقورا متشما متشائمًا رافضا للحياة عفا - على خلاف بشار - وكان يزدري المرأة ويذهب إلى أن عفتها لا تضمن، وإن أقل ما تجنيه، التبرج، ومن الواجب أن يداريها الرجل الذى يعايشها، ويسترضيها، ويتقى غضبها ويراقبها، فكثيرا ما تظهر الغيرة على بعلمها وتسود عيشه من أجل ذلك، بينما هى تسقى الخليل ريقها.
ومن قوله:

لعمرك ما غادرت مطلع هضبة من الفكر إلا وارتقيت هضابها
أقل الذى تجنى الغوانى، تبرج يرى العين منها حليها وخضابها
فان أنت عاشرت الكعاب فصادها وحاول رضاها واحذرن غضابها
فكم بكرت تسقى الأمر حليلها من الغار، إذ تسقى الخليل رضابها
وإن جمال العيش ما علقبت بها يد الحى، إلا وهى تخشى انقضابها

وكان يحول سخطه على الحياة إليها، ويصب نغمته على رأسها، ويقلب ما يكبحه من اشتهاؤ نفسه لها ورغبة جسمه فيها، فيجعله تهالكها منها على اللذات، واستهتار فى ارضاء الشهوات، ويسلبها كل ما عدا ذلك ولا يراها إلا أداة نسل، ونطية شهوة ذلول، فهى عنده حية سامة.

وإنما الخود فى مساربها كربة السم فى تسربها

وما فضل النساء؟ ولأية غاية يطلبن الرجل؟ أليس النسل؟ وما خيرهن وهى يطلبن الأزواج والزينة ولا ينفعن فى حرب.

صحبك فاستفدت بهن ولدا
ومن رزق البنين فغير ناء
فمن ثكل يهاب، ومن عقوق
وإن تعط الأناث فأى بؤس
يردن بعولة ويردن حلياً
ولسن بدافعات يوم حرب
وقد يفقدن أزواجاً كراماً
وما النساء عنده إلا:

فوارس فتنة، أعلام غي
ولا يغرنك عكوفهن على المصلى:

وليس عكوفهن على المصلى
والمغزل أولى بهن من القلم:

ولا تحمد حسانك أن توافت
فحمل مغازل النسوان أولى
بأيد للسطور مقومات
بهن من اليراع مقامات

وليكن أخذهن التلاوة عن عجوز مهتمة

ليأخذن التلاوة عن عجوز
يسبحن المليك بكل جنح
من اللائي ففرن مهتمات
ويركعن الضحى متألمات
إذا قلن المراد مترجمات

وإذا احتاج الأمر إلى معلم، فينبغي أن لا تدنو الفتاة حتى من رجل
ضرير إلا أن يكون هرما هما مرتعش اليدين أبيض اللمة.

ولا يدين من رجل ضرير يلقهن أيا محكمات
سوء من كان مرتعشا ولتسه من المتشغفات
وخير للشيخ الفقير أن لا يتزوج منعمة، فإن الفقر والشيخوخة بابان
إلى العظام. والشيب معتقر مع الغنى إذا كانت "قوى الرجل موفورة" وفي
زوجة واحدة كفاية

ولا يتأهلن شيخ مقل بمصرة من المتنعمات
فإن الفقر عيب، إن أضيفت إليه السن، جاء بمعظمت
ولكن عرس ذلك بنت دهر تجنبت الوجوه محمات
ويغترف الغنى وخطا برأس إذا كانت قواك مسلمات
وواحدة كفتك فلا تجاوز إلى أخرى تجى بمؤلمات

ويختم هذه النصائح بأنها من خير مجرب شفيق

فهذا قول مختبر شفيق ونصح للحياة وللهمات
والرجال لا يؤتمنون على النساء:

وأمن على المال الرجال ولا تأمنهمو أبدا على الخرد
وإذا بلغ الغلام العاشرة فاحجب النساء عنه، ولا تدخله عليهن فانهن
حبال غى بهن يضيع الشرف.

إذا بلغ الوليد لديك عشرا فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني وأضعت نصحي فأنت، وأن رزقت حجي، بليد
إلا أن النساء حبال غي بهن يضيع الشرف التليد

واضرب على المرأة فإن ارخاء العنان لها يغيرها يركوب مالا يحمد

شر على المرأة من حمامها ارسالك الفاضل من زمامها
ومشيها تضرب في أكمامها تفوح ريا الطيب من أمامها
زائرة المسجد في المامها تأثم، والخيبة في ائتمامها
وريقها الشروب في صمامها سمام أفعى بأن من سممامها
أن نزلت عصماء من سممامها فلا سقاها الطل من غمامها
إذا احتوى الريم على رمامها لزومها البيت مع اهتمامها
حتى يجيها الوفد من حمامها وحملها المغزل في اتمامها

أوفى بما تعقد من زمامها

وأخف ما وصفها به أنها خيالات ولعبة:

وما الغوانى الغوادي في ملاعبها إلا خيالات وقت اشبهت لعبا
وننتقل من شعره إلى نثره. ومن كلامه في الدنيا وأوصابها ومتاعها إلى
تخيله الساخر للآخرة إلى نثر. ومن كلامه في الدنيا وأوصابها ومتاعها إلى
تخيله الاسحر للآخرة ونعيمها الخالص الخالد، ووصفه للحوار العين في الجنة
وهن على ضريين: ضرب خلقه الله في الجنة لم يعرف غيرها، وضرب نقله
الله من الدار العاجلة لما عمل من الأعمال الصالحة. وهو يجعل ابن القارح

يلتقى باثنتين من الضرب الثانى، ويقبل على كل واحدة منهما يترشف
رضابها فيهنجيه ذلك إلى ما به ويقول "إن أمراً القيس لمسكين! مسكين!
تخترق عظامه فى السعير وأنا أتمثل بقوله:

كأن المدام وضوب الغما م وريح الخزامى وضوب القطر
يعمل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحجر

فتستغرب أحدهما ضحكا فيقول "مم تضحكين؟" فتقول "فرحا
بتفضل الله.. أتدرى من أنا؟.. أنى كنت فى الدار العاجلة أعرف بحمدونة
وأسكن فى باب العراق بحلب، وأبى صاحب رحي، وتزوجنى رجل يبيع
السقط فطلقتنى لرائحة كرهها من فى، وكنت من أقبح نساء حلب. فلما
عرفت ذلك زهدت فى الدنيا وتوفرت على العبادة. وأكلت من مغزلى
ومردنى فصيرنى ذلك إلى ما ترى"

ودع ما فى هذا التهكم، وتأمل قوله إنها ما زهدت فى الدنيا ولا
انصرفت عن لذات الحياة إلا بعد أن عرفت أنها بخراء دميمة يصدف عنها
الرجال، ولولا ذلك ما صارت عابدة زاهدة.

وتقول الأخرى "إننى كنت توفيق السوداء التى كانت تخدم فى دار
العلم ببغداد على زمان أبى منصور محمد بن على الخازن. وكنت أخرج
الكتب إلى النساخ"

فهذه أيضا كانت سوداء شوهاء مزهودا فيها.

وانظر إقباله الشديد على ترشق الرضاب وشربه فى ذلك. واجعل
بالك إلى صرخته "إن أمراً القيس لمسكين، مسكين" وتكريره هذا اللفظ وما

يشعرك به ذلك من تحرق الرجل الذى يكبح نفسه حتى إذا أمكته الفرصة اندفع كالمنفجر. ولا تنس تعلقه بالرضاب، والتفاته إلى رائحة الفم، واختصاصه ذلك بالذكر.

أما الحور التى خلقها الله فى الجنة ولا تعرف الدنيا فتخرج لابن القارح من سفر جلة أو رمانه، جارية "حوراء عيناء" فيسجد لله اعظاما، ويخطر فى نفسه وهو ساجد إن تلك الجارية، على حسننها، ضاوية (نحيفة) فيرتفع رأسه من السجود وقد صار من ورائها ردف يضاهى كثنان (تل) عالج. . فيها من قدرة الله ويقول "يا رازق المشرفة سناها، ومبلغ السائلة مناها، والذى فعل ما أعجز وهال، ودعا إلى الحلم الجهال، أسألك أن تقصر بوص هذه الحورية" فيقال له أنت مخير فى تكوين هذه الحورية كما تشاء. فيقتصر من ذلك على الإرادة.

وهنا أيضا تهكم - كما فى الرسالة كلها - ولكنه مشوب بما يدل على الالتفات إلى الجسد، وإلى مواضع معينة منه، التفاتا كان المعرى يزجر نفسه عنه فى حياته احتشاما ونقمة.

والخلاصة أنه يسيء بالمرأة الظن كبشار، ولا يرى لها عفة يحفظها عليها دين أو تأديب، ولا يعتدها إلا ملهاة وغواية، ولا ينظر إلى ما وراء أنوثتها وضعفها، ولا يغتفر ما تحملها عليه طبيعتها، وإن كان مزاجه قد ذهب به مذهبا خلاف مذهب بشار. والنظرتان متفقتان فى النهاية، وصادرتان عن أصل واحد، وإن كانتا مرسلتين من نافذتين متباعدين، وإنك لتحس مرارة الحرمان وألم الاضطرار إلى الكف عن التماس الملاذ، فى شعر أبى العلاء، كما قطالعك من شعر بشار حيوانية التسور إلى اللذائد الحسية. وهو فرق

أوجده اختلاف المزاج وتفاوت العقل . والعمى فى كلا الرجلين علة أولى .
وقد كان أبو العلاء ، كبشار ، شديد الإحساس بعماه ، وإن له لهذا البيت :

إذا أمر أعمى فارحموه ، وأيقنوا سوان لم تكفول أن كلكم أعمى
وهذين :

أراني فى الثلاثة من سجونى فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ، ولزوم بيتى وكون النفس فى الجسم الخبيث
وذلك حسم المتأمل .

obeikandi.com

أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال
فطلبه المأمون واستحل دمه بما كفر وأشرك، فضلا عن تفضيله أبا دلف
على العرب كلها وفهم قريش وبيت الخلافة، فأمر فاستل لسانه من قفاه،
ويقال بل هروب ولم يزل متوارياً منه حتى مات ولم يقدر عليه. وكان من
أبناء الشيعة الخراسانية ومن أهل بغداد، فهو قريب شبه بشار، ولكنه استنفد
شعره - أو معظمه - فى المدح. فليس من الهين أن نعقد بين الرجلين مقارنة
تستحق الذكر.

على أن له هذه الأبيات، بعد انقضاء شهر الصوم:

عللانى بصفو ما فى الدنان واركبا ما يقسوله العاذلان
واسبقا فأجع المنية بالعيش فكل على الجديدين فان
وهو يشبه قول بشار أن العيش فرص، ودعوته أصدقاه أن يتهبوا
العيش انتهاباً.

عللانى بشرية تذهب الهـ م وتنفى طوارق الأحزان
والقيا فى مشامع سدها الصو م رقى الموصل أو دحمان
قد أتانا شوال فاقتبل العيـ ش واعدى نسرأ على رمضان
نعم عون الفتى على نوب الدهـ ر سماع القيان والعيدان
وكؤوس تجرى بماء كروم ومطى الكؤوس أيدى القيان
من عقار تميت كل احتشام وتسبر الندمان بالندمان

وكان المزاج يقدح منها
فاشرب الراح واعص من لام فيها
وله أيضاً:

للم أر كالشيب وقاراً يجتوى
فنازل لم يبتهج بقربه
كان الشباب لمة أزهى بها
إذ أنا أجرى سادراً فى غيه
أبعد شأو اللهو فى أجزاءه
وأذعر الربرب عن أطفاله
وله أيضاً:

ذاد ورد الغى عن صدره
وأبت إلا البكاء له
ندمى أن الشباب مضى
حسرت عنى بشاشته
ودم أهدرت من رشا
وارعوى واللهو من وطره
ضحكات الشيب فى شعره
لم أبلغه مدى أشره
وذوى المحمود من ثمره
لم يردع عقلا على هدره

يريد بالدم دم البضع، وكان يهوى جارية أديبة طريقة شاعرة، وكانت تحبه هو أيضاً على قبحه وأمكنته، فذاك ما يعنى، وكان ربما كسب بالمدح فيشر المال فى حجرها، ثم غضبت عليه وأعرضت عنه فقال فيها:

تسىء ولا تستنكر السوء أنها تدل بما تبلوه عندي وتعرف
فمن أين ما استعطفتها لم ترق لى ومن أين ما جربت صبرى يضعف
هذا والمثل العربى المشهور يقول: "أنكح من أعمى" وقال الأصمعى
"هما طرفان، ما ذهب من أحدهما زاد فى الآخر" والصحيح أن الأعمى
للتقص الحادث فى قدرته على إدراك الجمال، ولقلة غناء الحواس الأخرى، لا
يزال يعالج أن يستوفى إدراكه ولهذا يشتد إقباله وتعظم رغبته.

ولم يكن بشار أو من قال: "إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر"
و"بالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب" فقد سبقه ابن عباس فيما روى الجاحظ
فقال:

أن يأخذ الله من عيني نورهما فى لسانى وسمعى منهما نور
قلبي ذكى، وعقلي غير ذى دخل وفى فمى صارم كالأسيف مآثور
وقد قال غيرهما فى هذا المعنى، فمن قول الخريمى:

فايك عيني خبا نورها فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعم قلبى ولكمما أرى نور عيني لقلبي سعى
ويعزى إلى المعرى هذا البيت:

سواد العين زاد سواد قلبى ليتفقاً على فقهم الأمور
وفى نحو هذا يقول أبو العز مظفر بن إبراهيم الضرير:

قالوا عشقت وأنت أعمى ظبياً كحيل الطرف ألى
وحلاه ما عاينتها فتقول قد شغلتك وهما

وخيالاه بك فى المنام فما أطاف وما ألما
من أين أرسل للفؤاد وأنت لم تنظره، سهما
فأجبت موسوى العشق انصاتا وفهما
وقد سقنا هذه الأبيات للاستشهاد لا لجودتها.

ومن أدل ما للعميان من شعر على أن المرأة عندهم "أنثى" وأن المرأة
تتسرب فى جنسها، والإحساس بها لا يكون إلا إحساسا عاما قول على بن
عبد الغنى الحصرى:

قالت: وهبتك مهجتى فخذ ودع الفراش ونم على فخذى
وثنت إلى مثل الكثيب يدى فأجبتها: نعم الأريكة ذى
وهممت لكن قال لى أدبى بالله من شيطانك استعذ
قالت عفت فعتت قلت لها مذبذبت، باللذات لم أذ
ويروى له البيت الذى زعموه للمعرى "سواد العين زاد سواء قلبى".
وهو أشبه به.

ويظهر أن سوء الظن بعض ما يجرى به كف البصر، حتى يصبح
طباعا. من ذلك ما حكوه أن رجلا أعمى تزوج امرأة دميمة فقالت له: رزقت
أحسن الناس وأنت لا تدري. فكان رده "وأين كان البصراء عنك قلبى؟" فلا
عجب إذا رأينا من بشار وأبى العلاء وأضرابهما سوء الظن بالمرأة وقلة الثقة
بها والاطمئنان إلى قدرتها على العفة.

وليس هذا كتابا فى العميمان، ولكننا سقنا ما سقنا لنبين ما هناك من
التشابه الذى يوقع فى الروع أن الأمر يجرى مجرى الطباع.

وغزل بشار ليس كله نسقا واحدا أو طبقة واحدة، فقد كان بيني
القصائد أحيانا "إعرابية وحشية" كما قال فى صفة شعر له، وأحيانا بينها
بناء المولدين. ومن أمثلة الضرب الأول قوله:

لعبدة دار ما تكلمنا الدار	تلوح مغانيها كما لاح أسطار
اسائل احجارا ونؤيا مهدهما	وكيف يجيب القول نؤى وأحجار
وما كلمتنى دارها إذ سألتها	وفى كبدى كالنفط شبت به النار
وعند مغانى دارها، لو تكلمت	لمكتئب بادى الصبابة، أخبار

وقوله:

لا خير فى العيش إن كنا كذا أبدا	لا نلتقى، وسبيل الملتقى نهج
قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم	ما فى التلقى ولا فى قلبه حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو إلى الله هما ما يفارقنى	وشرعا فى فؤادى الدهر تعتلج
لو كنت تلقين ما تلقى، قسمت لنا	يومًا به منكم ونبتهج

وقوله:

إذا لاح الصوار^(١) ذكرت سلمى وأذكرها إذا نفح الصوار

(١) الصوار فى الشطر الاول قطع البقر. وفى الشطر الثانى المسك. يقول أذكرها إذا رأيت
يذكرنى أعينهن حسن عينيها، وأما المسك فأذكر به طيب نشرها.

ولم تجمع هواك بهن دار
مخافة أن يكون به السرار
حذار البين لو نفع الحذار
أما ليل بعدهم نهار؟
فليس لنومه فيها قرار
كأن جفونها عنها قصار
وقوله:

وفي اكتحالي بكم شاف من الرمد
تهوون ألا أريد العيش لم أرد
من سحر هاروت أو ماروت فى عقد
إلا وجدت لها برداً على كبدى
وقوله:

وزانت هجرها وتحلت
وكانت يد منه على فقلت
وقوله:

وأشفى لنفسي أن تهب
تناهى وفيها من عبيدة طيب

كأنك لم تزر غر الثنايا
يروعه السرار بكل شيء
كأن فؤاده كرة تنزى
أقول وليلتى تزداد طولاً
كأن جفونه سملت بشوك
جفت عيني عن التغميض حتى
وقوله:

أبيت أرمد ما لم أكتحل بكم
رقت لكم كبدى حتى لو أنكم
كأن قلبى إذا ذكر كم عرضت
ما هبت الريح من تلقاء أرضكم
وقوله:

فيا عجباً زينب نفسى بحبها
فبيني كما بان الشباب الذى مضى
وقوله:

هوى صاحبي ربح الشمال إذا جرت
وما ذاك إلا أنها حين تنتهى
وقوله فى أرجوزته المشهورة:

يا ظلل الحى بذات الصمد بالله خير كيف صرت بعدى
واها لأسماء ابنة الأشد قامت تراءى رأتنى وحدى
كالشمس تحت الزبرج المنقد ضنت بخد، وجلت عن خد

ثم انثنت كالنفس المرتد

والضرب الآخر يؤثر فيه البحور الرقيقة المرقصة الهسولة ويبرز المعانى التى تدور على الحس على نحو لم يكن مألوفًا. وقد شاع شعره هذا وتناقله الشبان والفتيات. وهو فى هذا الضرب خريج ابن أبى ربيعة وتلميذه، ولكنه لا يجاريه مجارة المقلد بل يسلك، بعد التأثر به، طريقه وينفرد به، ويكثر من التصرف. وبعضه ينحو فيه منحى القصص ولكنه يخرج فيه عن الاحتشام مثل قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها:

قد لامنى فى خليلتى عمر واللوم فى غير كنهه ضجر

وقد مررت بك أبيات كثيرة منها

ومن هذا الضرب أيضاً قوله:

وجوار إذا تحلين لم تدر جوار فى حليها أم ظباء

يتعرضن لى بفاترة الطرف إذا أقبلت ثناها الحياء

وحديث كأنه قطع الروض ففيه الصفراء والحمراء

قوله:

وكان رجع حديثها قطع الرياض كسسين زهرا

وكان تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

ثيابها ذهبًا وعطرا

وتخال ما جمعت عليه

وقوله:

كأن حديثها ثمر الجنان

وحوراء المدامع من معد

كأن عظامها من خيزران

إذا قامت لمشيبتها ثنت

وقوله:

ولم تك تبرح الفلكا

أنتنى الشمس زائرة

تحدث، واكفنى يدكا

تقول وقد خلوت بها

وقوله:

وأخشى مصارع العشاق

أنا والله أشتهى سحر عينيك

وقوله:

لحديث، وارقب الدرعا

سیدی لا تأت فى قمر

أنه واش إذا سطغسا

وتوق الطيب ليلتنا

وقوله:

لا تعرف أمثاله

وشخص طيب الأردان

وقد أشبع خلخاله

بكى جوعا وشاحاه

وما يحمل أوصاله

أتانا يحمل الشوق

وقتل السر أبقى له

فقلت السر كتماننا

وقوله:

حسب قلبى ما به من حبها ضاق من كتمانها حتى علن
لا تلم فيها وحسن حبها كل ما قرت به العين حسن
وكان يستطيب الحديث ويجد فيه لذة. ويذكر ذلك فى شعره ويشبهه
بقطع الرياض، وباللؤلؤ، وبالوشى "وشى البرود" ويقول:

وثقال الأعجاز قطعن قلبى بحديث لذ، ودهر قصير
قد رضيت القليل منهن، إني من قليل لوائق بالكثير
وكل عزله حسى واقعى لا يرتقى فيه عن هذه المرتبة ولا يجاوز وصف
المحاسن الملموسة أو ما يتخيله وراء اللمس أو السمع مما فاته بذهاب بصره.
ولكنه لا يرتفع إلا فى النادر - وعلى سبيل التقليد والمحاكاة - عن نطاق
الحس، ولا يزال يجعل المرأة تعرب عن شعورها بقوته وخشونته وبأسه
وسطوته، على حين يقابل هو جدها المتخيل فى ذلك، بالسخرية والعبث
رغبة منه فى توكيد فحولته واستضعافه للمرأة. وهذا بعض ما يؤدى إليه
الشعور بالنقص، فكأنه أراد أن يعتاض القوة والبطش مما يدرك أنه حرمه وان
غيره ينعم به.

ولم يكن يعنى بالصدق فى الأعراب عن عاطفته، وإنما كان معنيا
بسيرورة الشعر وشهرته، وقد أخذوا عليه قوله:

إن فى بردى جسما ناحلا لو توكأت عليه لا نهدم

لأنه كان مثل الجاموس ضخامة جسم، والحقيقة أن بشارا لم يجعل باله
إلا إلى المعنى الخليق أن يحسن وقعه فى نفوس الشبان والنساء. ولهذا كان
يؤثر فى عزله النعومة ورقة الحاشية والتطرى. ويسرف فى ذلك حتى خيف

شده على النساء والشبان . ونهاه الخليفة المهدي عن الغزل والتشيب وحبسه قليلا فأمسك وهو كاره وخائف ولكنه كان لا يزال يحتال على القول . تأمل هذه الأبيات :

إن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئاً، أيته
ومخضب رخص البنان بكى على، وما بكيته
يا منظرًا حسنا رأيتَه من وجه جارية فديته
بعثت إلى تسومني ثوب الشباب وقد طوته
ويشوقني بيت الحبيب إذا غدوت، وأين بيته؟
حال الخليفة دونه فصبرت عنه، وما قلته

وإذا لم يكن هذا من الغزل الذي نهى عنه، فلا ندرى ماذا يكون الغزل؟ وقد لهج بشار في شعره بمن تسمى عبده أو عبيدة . وكل ما هو معروف من أخباره معها أنه كان جالساً ذات يوم في مجلسه الذي يجلس فيه غدوة ويسميه "البردان" وكان النساء يحضرنه ليتحدثن ويأكلن ويشربن ويسمعن شعره أو يأخذنه لينحن به على الموتى من أهلن أو غيرهم . فأعجبه كلام إحداهن أو استحلى صوتها فدعا غلامه فقال له "إني علقت امرأة فإن تكلمت فانظر من هي وأعرفها، فإذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها وكلمها وأعلمها أني لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرفها إنني قلتها فيها :

"يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة.. الخ"

فأبلغها الغلام فهشت لها . وكانت تزوره بعد ذلك مع نسوة يصحبنها . ثم تنصرف ولا تطعمه في نفسها . ويظهر أنه كان يزورها كما تزوره . فقد

حكى رواية بشار أنه كان عنده ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت له " يا أبا معاذ. عبدة تقرئك السلام وتقول لك: قد اشتد شوقنا إليك ولم نرك منذ أيام" فقال " عن غير مقلية والله كان ذاك" ثم قال لروايته " خذ الرقعة واكتب فيها ما أقول لك ثم ادفعه إلى الرسول" وأملى عليه:

عبد إنى إليك بالأشواق لتلاق، وكيف لى بالتلاقي
أنا والله اشتهى سحر عينيك وأخشى مصارع العشاق
وأهاب الحرسى محتسب الجند يلف البرئى بالفساق

وليس لبشار فى غزله صدق يعرف من كذب، فقد كان الشعر عنده صناعة وكان همه أن يقوله فى أغراضه وأن يقال أحسن وأجاد، لا أن يكون صادق السريرة فيه، ولكن إذا أصدق فإن عبدة تكون قد أكثرت من التدلل والصد والجفوة والغضب. فقد قال:

مسنى من صدود عبدة ضرر فبنات الفؤاد ما تستقر
ذاك شىء فى القلب من حب عبد ة باد، وباطن يستسر
وقال أيضا:

يا عبد إنى قد ظلمت واننى مبد مقالة راغب أبو راهب
وأتوب مما تكرهين لتقبلى والله يقبل حسن فعل التائب
وقال:

يا عبد حبك شفى شفا والحب داء يورث الحتفا
والحب يخفيه المحب لكى لا يستراب به، وما يخفى

وهذا هو من حذره المعهود.

وقال:

يا عبد بالله فرجى كرىى
وضقت ذرعا بما كلفت به
ففرجى كربة شجيت بها
ولا تظنى ما أشتكى لعبا
فقد برانى وشفنى نصبى
من حبكم، والمحب فى تعب
وحر حزن فى الصدر كالهـب
هيهات قد جل ذاعن اللعب

فهى كانت تعرفه معرفته ولا تراه إلا عابثا

وقال:

يا عبسد زورينى تكن منة
والله ثم الله فاستقيني
يا عبد إنى هالك مدنف
فلا تردى عاشقًا مدنفًا
لله عندى يوم ألقاك
إنى لأرجسوك وأخشاك
إن لم أذق بررد ثناياك
يرضى بهذا القدر من ذاك

وما أشبه هذا بحكاية العنكبوت والذبابة!

وقال:

يا عبد قد طال فأنعمى
يا عبد هل للقاء من سبب
واشفى فؤاد فتى يهيم متيم
أولا، فأدعو باويل والحرب

يا عبد هل لى منكم من عائد . أم هل لديك صلاح قلب فاسد
وقال :

يا عبد حى عن قريب ونأملى عين الرقيب
وارعى ودادى غائبًا فلقد رعيتك فى المغرب
أشكو إليك وإنما يشكو المحب إلى الحبيب
غرضى إليك من الهوى غرض المريض إلى الطبيب
وقال :

يا عبد يا جافية قاطعه أما رحمت المقلة الدامعة
يا عبد خافى الله فى عاشق يهواك حتى تقع الواقعة
عبد إنى قد اعترفت بذنبى فاغفرى، واعركى خطاى بجنب
عبد لا صبر لى ولست - فمهلا - قائلًا قد عتبت فى غير عتب

وحسبنا هذا القدر. وإنما استكثرنا لنريك فرق ما بين شعره فيمن تسمى
عبده وشعره فى سواها مثل أميمة، وأمامه، وفاطمة، . الخ.

وهى إحدى اثنتين: أن تكون عبدة هذه امرأة حقيقية صبا إليها قلم
تمكنه منها، فألح عليها، ولج فى التودد إليها، وهى لا تزداد على التودد إلا
دلالا. أو أن تكون من مخلوقات الخيال، أو اسمًا استعاره وأدار عليه القول
ليشتهر بذلك، تشبهًا بكثير وجميل وقيس وأضرابهم من هذه الطبقة ولنا العذر
إذا اجنحنا إلى الشك. فما نعرف من عبدة أو عبيدة هذه إلا أنها من نساء
البصرة، وإنها كانت تحضر مجلسه فيمن يحضره غيرها. ثم لا شىء بعد
ذلك إلا شعره فيها.

وشعره فيها يخلو من ذلك المجون الذى اشتهر به فى تشبيه بالأخريات،
فما جاوز حد التصريح بأنه هالك إذا لم يذق برد ثناياها. ويخيل إلينا أنه بناه
هذا البناء تقليدًا لمن سبقوه من شعراء الغزل.
